قضية التعريب (1)

من الثابت الذي لا شك فيه أن وحدة اللغة من اهم العوامل في تمكين وحدة الشعب وتقوية أواصره وشد عزمه على التآخي والتعاون ودفعه للسير قدما في مضمار التطور ومعارج التقدم . وكثيرا ما وقع بسبب اختلاف اللغات بين الشعوب وسوء التفاهم على المعاني تشنجات اجتماعية وسياسية ادى بعضها الى قيام حروب وثارات سالت فيها دماء غزيرة وتبددت ثروات ضخمة .

ولقد كان لنا في الجاهلية لهجات متباعدة تغالي بعض العلماء فسماها لغات كأبي عمرو بن العلاء القائل: « ما لغة حمير بلغتنا ولا لسانهم بلساننا » ولولا أسواق العرب الدورية لما تقاربت هذه اللهجات فزالت الفوارق وتروقت الالفاظ وتهذبت المعاني وتوضحت المصطلحات وسهل التفاهم وقامت أشباه اتحادات سياسية قبلية كانت ارهاصا للوحدة العربية التامة الشاملة التي انبثقت مع الاسلام ودعمها كتاب الله الكريم وانضجت لنا هذه الحضارة التي ما زلنا نفاخر بها حتى اليوم . فمنذ ذلك الوقت والعرب كلما مزقتهم الاحداث أو فرقتهم المصائب وجدوا في الاسلام الذي وحدهم داعيا الى الصلح وفي القرآن الكريم الذي انضبطت لغتهم عليه اساسا للاتحاد والتفاهم . لقد جمعهم القرآن الكريم فالف بين قلوبهم ووحد صفوفهم وخلق منهم قوة يخشى بأسها ودفعهم في سلم الحضارة صعدا ، فنحن حينما ندعو الى لغة القرآن المجيد ونسعى الى تفصيح العامية ، انما ندعو الى تحاب وتفاهم بين العرب . والتقاؤنا على الفصحى في جميع اعمالنا العلمية والادبية والفلسفية هو اول الطريق نحو وحدتنا المنشودة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . وحدة الفكر والتفاهم اولا ، فهي التي تحدد شخصيتنا وتثبت اقدامنا في التطور الحضاري ضمن المجتمع الدولي المتقدم .

كل شعوبنا ترنو الى الوحدة العربية الكبرى بعيون ظماء وقلوب متلهفة . وكل شعرائنا وكتابنا وارباب الفنون منا يتحدثون عنها ، وكل زعمائنا يتخذونها تكأة سياسية ... وكلما حزبنا امر أودهتنا مصيبة او اعتدى علينا مستعمر قلنا : لو كنا متحدين لكان لنا موقف آخر يرهب العدو ويرضي الصديق لكن كيف يتم لنا تحقيق هذه الوحدة او الاتحاد او ما شئتم له من تسمية . اذا كنا لا نستطيع التفاهم بدقة على ما نريد ؟ ونتحدث بلهجات متباينة تكاد تدعي بأنها لغات لعظم التفاوت فيما بينها ، فنحن لا نختلف على المسميات والتراكيب وحسب ، بل ان نطقنا فيما اتفقنا عليه مختلف احيانا اختلافا يظن معه انه لغة اخرى .

(1) استدعي الاستاذ السيد عبد العزيز بنعبد الله للحضور في « الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي » الذي انعقد بوهران (الجزائر) بين 20 و 30 يوليوز 1971 فشارك بهذه المحاضرة .

ومع هذا نجد بيننا من يدعو الى تعميق هـذا التفاوت باستخدام اللهجات العامية مكان العربية الفصحى ويسميها لغات . فهناك من يدعو الى العامية اللبنانية بحماسة ، وقد وضعت فيها كتب تطبع اليوم فى بيروت بعشرات الالوان وتوزع بالمجان تقريبا أو بثمن رمزي . وتكتب بحروف لاتينية ويكافأ المبرزون فيها بجائزة مقدارها نحو اربع مئة دولار وهي جائزة مستمرة تدفع فى مطلع كل شهر للفائز الاول فى تخريب الفصحى ، فيتهافت كثير من الشبان عليها طامعين بها وفى يد كل منهم معوله يضرب به فى اساس اللغة فيخرب ناحية ويهدم ركنا حتى بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العامية اللبنانية العشرات ، وهم يسمونها اللغة الفنيقية احيانا ويدعون بأنهم ورثة فنيقيا التي كانت قائمة فى لبنان قبل نحو ثلاثة آلاف عام . والناس العقلاء الطيبون يتساءلون : من إين ياتي هذا الداعية الفقير بالمال لينفقه فى هذه السبيل ؟ !

ونجد بيننا من يدعو الى كتابة الاغاني والحوار القصصي والمسرحي والسيناريو السينمائي باللهجات العامية ، وتقام للدعوة الى ذلك مناظرات صحفية وندوات وتؤلف الكتب وتنشأ المقالات وتفتح المجلات المصورة لها صدورها وترحب بها .

ونجد بيننا من يدعي بأن اللغة العربية ضعيفة قاصرة لا تستطيع مجاراة التطور الحضاري والعلمي المعاصر ، ويرون الخير فى تركها واهمالها وتدريس العلوم بأي لغة اجنبية سواها .

وليت الامر اقتصر على الضجيج فى الصحف والندى وحدها ، ليته وقف عند هذا الحد اذن لهان الامر وقلنا : حسبنا الله فى بعض شواذ الناس ومتنطعيهم ، أما ان يحمل هذه الدعوى عضو مجمعي فيدعو فيه الى نبذ الحروف العربية نبذا قاطعا واستخدام الحروف اللاتينية مكانها توطئة لتقريبنا من الحضارة الاوربية على حد زعمه فأمر يدعو الى كثير من التعجب .

ونجد بيننا من يدعو الى تحطيم قواعد الفصحى وتكسير اساليبها وتدمير بلاغتها وتمزيق شعرها ونثرها وهجر اوزانها الموسيقية العذبة ، ويتغالون فى استخدام المجازات والاستعارات والكنايات البعيدة ويسمونها رمزية ويستخدمون الالفاظ فى غير ما وضعت له ويسمونها سريالية حتى عمي على قارىء العربية فهم ما يقصدون فكأنهم يكتبون لغة اخرى لا صلة بيننا وبينها الا صور الحروف وحسب .

ولو رجعنا الى أصل هذه المعارك ودرسنا اسبابها الحقيقية لوجدناها سالكة سبلا متفرقة لكنها كلها ترمي الى هدف واحد . فالحركة الالحادية تبعدنا عن عماد هذه اللغة وقطب رحاها ، تبعدنا عن كتاب الله الذي كان سبب وحدتنا وتقدمنا . فمتى تحللنا منه ونبذناه ضعفت لغتنا وضعفنا معها وتمزقنا وسهل على المستعمر ازدرادنا لقمة سائغة .

والحركة الداعية الى لاتينية الحرف ، تهدف الى قطع صلتنا بماضينا الحضاري والفكري ، وتفريغ مجتمعنا من الداخل تفريغا يجعله قابلا لأن يملأ بما يريدونه لنا ، فنعود الى وهدة التبعية التي لم نتخلص منها الا بشق الانفس وتقديم ملايين الضحايا .

والحركة الداعية الى العامية تهدف الى تمزيقنا تمزيقا يباعد بين اقاليمنا فنغدوا شعوبا صغيرة متخاذلة لا تفاهم بينها ويتركنا صفارا ضعفاء متهالكين امام اي صيحة ونتهافت تحت كل ضربة .

إن معركتنا ايها السادة معركة شرسة طحون غير أن سلاحنا فيها ماض قوي لو عرفنا كيف نستخدمه ، ان ايماننا بسمو لغتنا وقدرتها على التطور ومساوقة اى لغة عالمية فى اى علم من العلوم هذا الايمان لا يكفي وحده ، لا يكفي ان نتغنى بهذا الجمال وبهذه القدرة ، ونقف عند كتابة المقالات الضافية فى تمجيدها ونظم القصائد الطوال فى الثناء عليها وتقديرها .

ان اللغة الآن فى محنة من اشد المحن ، تقاتل على جبهات متعددة بعضها خارجي وبعضها داخلي ، وتجتاز مآزق حاسمة فى اعنف لحظاتها التاريخية ، فان لم تقف فى وجه هذا التحدي بتحد اشد واصلب ، سقطت فى هاوية لا مخرج لها منها . ان خصومها يخططون لتخريبها تخطيطا علميا بارعا ويدرسون ثم يصممون ويعملون ضمن برنامج معروف المبدأ معروف الاسلوب معروف النهائية ، ولا مناص لنا من خوض هذه المعركة بمثل سلاحهم ، اما التفاخر بالماضي والادعاء العاطفي والارتجال فأمور لا تجدي فى معركتنا هذه فتيلا . يجب ان نثور ثورة عاقلة وان تكون اول ثوراتنا على انفسنا فنغير مناهجنا وسلوكنا وتكتيكنا ثم نحدد خطتنا ونعين هدفنا وننطلق بايمان لا نلتوي بعده مهما تعاورنا من محن او تأكدنا من عقبات . ان اهم معاركنا تدور فى حومات ثلاث هي :

ا ـ معركة الحرف العربي واصول الكتابة الطباعية

ب ـ معركة العامية
ج ـ معركة التعريب .

وما عدا ذلك فتبع لها او مشتق منها او متعاون معها . وسنعرضها بشيء من ايجاز لتركيز البحث عليها اذا شئتم وما امرها بخاف عنكم .

ا ـ الحرف العربي :

يقيسون الحرف العربي في الطباعة على الحرف الافرنجي فيقولون :

ان رصف صفحة بالخط الفرنجي يعادل في الزمن رصف صفحة بالخط العربي ، ومعنى ذلك انه بينما يصف عامل المطبعة الافرنجي حروف صفحتين لا يستطيع زميله العربي ان يصف اكثر من صفحة واحدة ، وعيون الحروف الفرنجية في لوحة الرصف لا تزيد على التسعين لان كل حرف منها وحدة قائمة بذاتها يمكن رصه في اول الكلمة او وسطها او آخرها ونقله من مكان الى آخر بمنتهى السهولة ، اما الحرف العربي فتختلف صوره باختلاف موقعه من الكلمة ، فالعين مثلا في كلمة « عدل » الواقعة في اول الكلمة لا تشبه العين الواقعة في وسطها مثل « يعود » او في آخرها موصولة مثل « سميع » او في آخرها مفصولة مثل « سماع » وهناك حروف تتصل بسابقها وبلاحقها وحروف تتصل بسابقها ولا تتصل بلاحقها مثل «الواو» وهناك الهمزة في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها فقد تمتلي متن الالف او تركب ظهر الواو او تجلس على كرسي او تنفرد وحدها ... وهناك المدة والشدة والتنوين .. وهناك الحركات من ضمة وفتحة وكسرة وهكذا تتزايد العيون اللازمة للحرف العربي حتى تبلغ سبع مائة عين او اكثر . فاذا احتاج العامل الفرنجي الى شهرين ليتقن صناعة صف الحرف ، فلن يقل الزمن اللازم لزميله العامل العربي عن ستة اشهر ولهذا اختصروا فدعوا الى اتخاذ الحرف اللاتيني وراوا فيما ابتدعه مصطفى كمال أتا تورك للغة التركية مثالا يحتذي . ونسوا ان :

1 ـ اللغة التركية لغة حديثة غير ذات امجاد حضارية وما فيها من نفائس الكتب مترجم اكثره عن العربية وان اللغة التركية وليدة جديدة ما زالت في دور الحضانة والنمو وانها تستعير نحو ثلثها من اللغة العربية والثلث الثاني من الفارسية والطورانية والثلث الاخير مستعار من اللغات الاوربية الحديثة .

2 ـ وانا لو بدلنا حرفنا هذا واتخذنا الحرف اللاتيني مكانه لاحتجنا الى اعادة طبع عشرات الالوف من كتبنا القيمة وفيها ارث حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا وامجادنا والتبديل يحوجنا الى زمن طويل جدا وجهد جبار وبذل مليارات من الدنانير الذهبية ، وهو امر تعجز عنه ميزانيات البلاد العربية مجتمعة .

3 ـ وعجزنا عن اعادة طبعها كلها يدعونا الى اهمال كثير منها والى الانقطاع انقطاعا تاما عن مخطوطاتنا الغميسة وهي لا تقل عن مليونين وفيها من النفائس ما لا تقابله مخطوطات اي لغة اخرى في العالم اليس في مغامرتنا هذه ضياع كنوز فكرية لا تقدر بمال الدنيا ؟! .

4 ـ وقد ثبت الآن ان الحرف العربي حرف مثالي في جمال تكوينه وشكله وتنوعه والوائه واستوائه وتعريجاته واختصاره ، وان الصفحة الواحدة من الكتاب العربي لو كتبت بالحرف اللاتيني لاحتاجت الى صفحتين على الاقل ، فالكتاب المؤلف من مائة صفحة بهذا الخط الجميل لا يمكن رصفه بأقل من مائتي صفحة بالحرف اللاتيني وما جدوى كل هذا التبذير ؟!

5 ـ ان تطور الطباعة اليوم يتجه اتجاها سريعا نحو اللونيتيب والمونوتيب ومعنى ذلك هو العدول بالتدريج عن اسلوب الرصف الحرفي واختصار القوالب الى نحو 160 فقط ، وقد توصل بعض العلماء الى ابتكار رسم حديث للحرف العربي لا يخرجه عن شكله ولا يبعده عن اصله ولا تزيد قوالبه على المائة ، (2) واهتمت جامعة الدول العربية بهذه المشكلة وتبنت بحثها ومناقشتها ودعت الى ندوة خاصة بذلك تعقد وشيكا واستدرجت لها كل المعنيين بها وقدم المغرب مشروعا ممتازا لا تزيد فيه قوالب الحروف عن التسعين مع جميع ملحقاتها من همزات وشدات ومدات وحروف اجنبية لا ينطقها العرب . والامل قريب بتوفيق الجامعة الى حل مشكلة الحرف حلا سريعا وموضوعيا تسهل به الكتابة على الراقنة « الآلة الكاتبة» وفي المطابع بحيث تسقط دعوى الداعين الى الحروف اللاتينية ويفقد خصومنا معركة .

ب ـ معركة العامية :

يحتج الداعون الى العامية بعجز الفصحى عن التعبير بدقة وعمق عن خلجات النفوس وتصوير اللمحات العاطفية والامثال الدارجة في كل قطر . وبأن الطفل العربي يعاني في دراسة الفصحى ما يعانيه في تعلم اي لغة اجنبية سواها ، فخير له ان يدرس لغة اجنبية يتابع فيها دروسه العالية من بعد في مواطن العلم ، ويقتصد بذلك اقتصادا كبيرا في الزمن والجهد والمصروف !!

1 ـ ونسي هؤلاء الداعون او تناسوا ان في تقوية اللغة العامية اضعافا للغة الفصحى وتوهينا

(2) راجع نماذج من هذا الخط الجديد في غير هذا المكان .

لعزمها وخلقا لعدد من الشعوب تبدأ عربية اقليمية ثم لا تزال تتباعد مع الزمن وتوالي الأجيال حتى تنتهي الى شعوب نبطية ضعيفة متهالكة لصغرها امام القوى الكبرى فتهون على الاعداء وما أكثرهم ويلحق العرب بالشعوب البائدة التي اهملت نفسها واحتقرت لغتها ولم تخدمها واستعارت لغة سواها لثقافتها وتعاملها فذابت فيها ولم يبق لها ذكر يذكر . اين البابليون والآشوريون والسومريون والفنيقيون والقحطانيون والسريان ؟ ! .. اتظنون انهم قد بادوا بأشخاصهم ، وان اصولهم قد اجتثت من الحياة اجتثاثا ؟ كلا .. ان بقاياهم ما زالت تعيش بيننا ولكن من يعرفها ومن يحترمها ومن يقيم لها وزنا وما قيمتها فى الحضارة ؟ !

2 ـ والغريب ان يتجه العالم كله نحو التكتل ليصون نفسه بقوة اعظم وهؤلاء يدعون الى التمزق والتصاغر والضعف والتهالك فأي جناية اعظم منها ؟

3 ـ ونحن لا نرى ضيرا فى بقاء العامية لغة للتعامل اليومي على شرطين هما :

أ ـ ان يباعد بينها وبين الادب شعره ونثره فتجلو عن الصحف والمجلات المصورة والقصص والمسرحيات وما شاكلها .

ب ـ ان يسعى السعي الحثيث لتفصيحها (3) وتقريبها من اللغة القويمة بحيث تصبح الشقة بينهما أقرب ما يمكن حتى يسهل التفاهم بين العالم ورجال الشارع بغير كبير عناء ، وعلى اى حال فان امر ذلك كله بين ايدي قادة الفكر العربي والمعلمين والمدرسين فى جميع مراحل التعليم .

جـ ـ التعريب :

قالوا بأن اللغة العربية لغة قديمة اصبحت عاجزة عن مجاراة التطور العصري قاصرة عن مباراة اللغات الحية فى العلوم . وقالوا : ان فى حروفها نقصا فنحن لا نستطيع النطق ببعض الحروف الضرورية فى المسميات العلمية أمثال En V.U.G. ... وما شاكلها . وقالوا : ان الفكر العلمي المعاصر يخلق فى كل يوم نحو مائة مصطلح جديد فكيف تلحقه اللغة العربية ؟ وقالوا غير ذلك كثيرا . والجواب عن هذا :

1 ـ ان نقصان اللغة العربية بعض الحروف لا يعيبها ، ولها أسوة بأقدر اللغات الحية المعاصرة ، فهل فى لغة من لغات العالم الحي حرف (ح) او (ع) مثلا . وهل فى الفرنسية حرف (ق) ، ماذا فعل الفربيون للتوصل الى النطق بالخاء والطاء والصاد وما شابهها ؟ اصطلحوا على رسوم معينة واشارات تضاف الى حروفهم ليلفظوها كما نلفظها نحن فى العربية . وكتب المستشرقين والمستعربين وشراح مخطوطاتنا ومترجميها مليئة بأمثال ذلك . فهل نكون اقل منهم دراية ؟ ! ومتى تمت الموافقة على الحرف العربي الجديد والمصطلحات الجديدة فى ندوة جامعة الدول العربية العتيدة ، فلن يبقى هناك عذر لمعتذر .

2 ـ ان التجربة العلمية الناجحة التي قامت بها سوريا عام 1919 واستمرت سائرة على نهجها الى اليوم تنفي دعواهم نفيا باتا ، فقد عربت سوريا التعليم فى جميع مراحله من دور الحضانة حتى نهاية الجامعة وخريجو جميع الفروع من علمية ورياضية وطبية وصيدلية وهندسية وزراعية لا يقلون عن زملائهم فى اي دولة راقية .

والخطوة الجبارة الشجاعةالتي خطتها الجمهورية الجزائرية هذا العام نحو التعريب ، لم تقدم عليها الا بعد بحث وتمحيص واستقصاء ، وستؤتي اكلها وتصبح نموذجا آخر حيا فى العالم العربي يرد به على دعاة التخريب على ان هذا لا يتعارض ووجوب التضلع من اللغات الاجنبية تدعيما للتعمق العلمي والفكري على الصعيد العالمي .

3 ـ ان الكرامة القومية تقتضي بأن ندرس فى جامعاتنا بلغتنا القومية ، نفعل كما تفعل جميع الامم التي تحترم نفسها وتقدر قيمة لوجودها وتثبت عزمها على فرض شخصيتها والمساهمة فى حقل الحضارة والانسانية ، فالامم حتى الصغيرة منها كالبانيا وبلغاريا تابى أن تدرس فى جامعاتها بغير لغتها القومية بل هذه اسرائيل سارقة فلسطين من العرب تدرس فى جامعتها جميع العلوم والفنون باللغة العبرية مع ان لغتها لم تتجدد الا فى مطلع هذا القرن . افنعجز نحن عن وضع لغتنا فى مكانها المرموق ؟ هذه اللغة التي حملت امانة الحضارة طوال القرون الوسطى ومنحتها جميع المصطلحات الانسانية والعلمية والتقنية كالطب والهندسة والموسيقى والفلك والرياضيات والفلسفة .. لم تعجز عنها فى عصور كانت وسائل التواصل الفكري بين البلاد شبه بدائية . افنعجز عنها اليوم ونرميها بالعقم ونحن فى عصر النور والكهرباء والذرة واللاسلكي والفضاء ؟ ! ان اجدادنا لم يجبنوا امام تيار الحضارة بل اخذوا واعطوا وترجموا ونحتوا

(3) راجع فى غير هذا المكان بحثا حول تفصيح العامية .

واشتقوا وعربوا وطاوعتهم اللغة مطاوعة عجيبة ، وكان لهم جامعاتهم فى بغداد وفاس وقرطبة ومصر ودمشق وتونس . وسيطرت لغتنا على ثقافة تلك القرون حتى لقد تشكى بعض الكرادلة والبابوات من اهمال المسيحيين المثقفين اللغة اللاتينية واتخاذهم اللغة العربية مكانها !!

لكن كيف ندرس نحن فى جامعاتنا بلغتنا القومية اذا لم نقم على قاعدة من العربية الصحيحة فى المدارس الابتدائية والثانوية اولا ؟ ! من هنا نبدا . يجب ان نهيء لتلاميذنا كتبا فى العلوم والفنون بحيث لا ينقصهم من المدركات العلمية والفنية شيء . يجب ان نعد لهم كتبا موحدة المصطلحات لينشأ الجيل الصاعد موحد التفكير موحد النظر الى الامور العامة ، موحد الاتجاه فى لب الحضارة المعاصرة . وكيف نوحد هذه المصطلحات ؟ ومن يعمل على هذا التوحيد ؟ لقد كانت تجربة سوريا درسا سويا ناجحا لو اقتصر الامر على سوريا وحدها. اما وقد درجت بعض الدول العربية فى بعض كلياتها الجامعية على سبيلها كالعراق والاردن ومصر والمجامع اللغوية فيها تعمل بجهد واخلاص ، ولكن كل واحد منها يعرب ويصحح منعزلا عن الآخر ، وفى كل بلد علماؤه ولغويوه واساتيذه ، ولكل منهم وجهة نظر وجيهة ، فكيف نربط بينهما جميعا ؟ !

هنا يبرز دور مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي الذي دعا اليه المرحوم محمد الخامس فاجتمع مندوبو الدول العربية فى الرباط عام 1961 واقروه ومنحوه ثقتهم . ثم تبنته الجامعة وضمته اليها فاصبح جزءا منها اعتبارا من عام 1968 .

كيف يعمل مكتب التعريب ؟ :

ان ايجاد هذا المكتب عمل ثوري فى حد ذاته . انه ثورة هادئة عميقة معقولة ، انه ثورة مدروسة مخطط لها انطلقت من مبدا ثابت رصين وسلكت سبيلا نيرا ورمت الى هدف واضح معروف .. ولاحظ المكتب هذه الفوضى فى التعريب ورأى كيف يوضع للمصطلح الواحد اكثر من مرادف معرب احيانا وعرف ان من اهم الاسباب فى ذلك اختلاف اثر الثقافات الغربية فى العلماء العرب فبعضهم تاثر بالثقافة اللاتينية كسوريا ولبنان والمغرب العربي وبعضهم تاثر بالثقافة السكسونية كالعراق والاردن ومصر وان بعض العلماء على حظ كبير جدا من العربية ومن الثقافة الاسلامية كخريجي الازهر والنجف ودمشق والزيتونة والقرويين . وبعضهم على حظ ضئيل منها كخريجي المعاهد الاجنبية .

ولاحظ المكتب كذلك ان مستوى المدارس الابتدائية فى معظم الوطن العربي دون مثيلاتها فى البلاد الراقية ، وقام باحصاء دقيق للمصطلحات والمدركات الواردة فى جميع الكتب المدرسية وجردها فاكتشف امرا عجيبا وهو ان مجموع مدركاتنا لا يتجاوز ثمان مائة مدرك ، بينما يتجمع فى ذهن التلميذ الاجنبي الف وخمس مائة مصطلح (4) . ومعنى ذلك ان مستوى ادراك الطفل العربي يقل عن مستوى زميله الاجنبي بمقدار النصف ولذلك يعاني تلميذنا فى ملاحقة المدركات العلمية فى المدارس الثانوية والجامعية معاناة مؤلمة جدا هي التي جعلت نسبة الناجحين بالامتحانات العامة والانتقالية فى مستوى منخفض .

عرض المكتب هذا الواقع على الدول العربية ودعاها الى اعادة النظر فى الكتب والمناهج معا وقدم لها نموذجا هو معجم رياضي شامل وسيلحقه قريبا بمعجم لدروس الاشياء استكمالا للمفاهيم الانسانية فى الاطفال اي دعا الى ثورة عميقة فى اول درجة من درجات الثقافة لان الكتب المدرسية ما هي الا صدى للمناهج وكان ذلك اول اعماله ثم التفت الى المصطلح المعرب فوجد ان حاجة البلاد العربية اليه متفاوتة تفاوتا بعيدا كذلك . فبينما تغلغل الاستعمار فى بعض البلاد الى اعماق مجتمعها وحاول اجتثاث ثقافتنا العربية من اصولها ونشر لغته بكل وسيلة حتى اصبحت لغة المدرسة والمعمل والشارع والبيت ، توقف فى مواطن سواها على السطح فحفظت لغتها وثقافتها نوعا ما . ورأى المكتب ان حاجة القسم الاخير الى تفصيح عاميته اشد من محاربة الدخيل فيه، اما القسم الاول فهو فى اشد الحاجة الى تفصيح عاميته ومحاربة الدخيل على لغته فى وقت معا . ولذلك اصدر سلسلة كتيبات منذ عام 1963 عنوانها « قل ولا تقل » بلغ تعداد الفاظها اكثر من الف وجعل من عام 1971 عام محاربة الدخيل واتصل بجميع الدول العربية لتزويده بما تحتاج الى تفصيحه او تصحيحه وهو مستعد لتقديم خدماته بكل سرعة ودقة . وكانت اول الدول العربية اهتماما بهذا المشروع هي الجمهورية الجزائرية . واول الهيئات العلمية التي ايدته هي اليونسكو .

(4) سبق للأستاذ احمد الاخضر غزال ان قام باحصاءات موفقة فى هذا المجال .

ان النخبة المثقفة فى البلاد العربية على العموم وفى المغرب على الخصوص ، متأثرة بقدرة المصطلحات الاجنبية العلمية على الدقة فى التعبير والتصوير للمدرك العلمي والتقني فلا يرضيها التعريب الارتجالي ولا الفوضوي المتنافر ولا المتعدد المتكرر أو الناقص فى دقته واحكامه ، وهي على حق فى هذا لانها ترى الفكر العربي على مفترق الطرق وتريد له ان يسلك السبيل السوي ، وترى لغتها وقد قبلت فى المجامع الدولية لغة خامسة الى جانب اللغات الحية العظمى فتريد لها دوام التقدم واطراد النجاح . ولقد لاحظ مكتب التعريب هذا الامر فاتخذ لذلك خطة علمية دقيقة يحمل مسئوليتها علماء العرب مجتمعين فهو يضع المصطلح بلغتين اجنبيتين معا هما الانكليزية والفرنسية ويضع امامه جميع المصطلحات التي عرب بها منسوبا كل منها الى صاحبه ان كان مجمعا علميا أو استاذا لغويا مشهورا له بالتفوق ، أو معجميا معروفا ... وينشر ذلك على شكل معجم الفبائي الترتيب ويضعه تحت انظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة أشهر ثم يدعو الى مؤتمر للعلماء المتخصصين يعقد فى ظل الجامعة العربية بالعواصم العربية على التوالي فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذي يريدون فيصبح شبه الزامي . واختيار مصطلح واحد من بين مجموعة مصطلحات يوحد التعريب حتما ويسهل السبيل على الدارسين والمدرسين والمؤلفين والكتاب .

ان الحضارة العلمية تقذف فى كل يوم بمائة مصطلح جديد الى ساحة التداول العلمي ، فكيف نلاحق هذا التراكض ! . المكتب أيها السادة يتراكض معها ويلاحق تطورها ويجمع المصطلحات فيعربها على هيئة ملاحق معجمية ويختار للمصطلح ما يقابله ويعرضه مع المعاجم الاولى على العلماء العرب للمداولة والنقد والتصحيح .

وتنبه المكتب الى أن جميع معاجم اللغة لم تجمع مفرداتها كلها ، فهناك مفردات متناثرة فى كتب العلوم والادب والتاريخ والجغرافيا القديمة لم تدخل المعاجم. وجمعها يحتاج الى وقت طويل جدا فماذا فعل ؟ ! جرد أكبر المعاجم العربية المعروفة (لسان العرب) ونسقه فى جزازات وجعله منطلقا يضيف اليه كل يوم ما يجتمع لديه من جزازات ويراكمها مصنفة تصنيفا أبجديا حتى بلغت مئات الالوف هي التي ستكون أساسا لمعجم المعاني الجديد واستخلص منها عددا من المعجمات فى بعض الفنون كمعجم الفقه المالكي ومعجم الاطعمة ومعجم الالوان ومعجم الطحانة والخبازة والفرانة ومعجم الرياضة واللعب ومعجم الآلات والادوات والاجهزة ومعجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ومعجم الحرف والمهن ومعجم البناء والمعجم المنزلي ومعجم الاطعمة وسواها ...

وها نحن نضع امامكم العدد الثامن من مجلتنا (اللسان العربي) فى ثلاثة مجلدات ، كل مجلد منها بأكثر من سبع مائة صفحة ، وكلها معاجم علمية وتقنية باللغات الثلاث الانكليزية والفرنسية والعربية معروضة لمن يرغب من العلماء الحصول عليها بالمجان نقدمها ولا نتطلب اكثر من تقويمنا وتصحيحنا ومؤازرتنا فى البحث . وستصدر هذه المعاجم وملحقاتها منفردة على حدة مشكولة موضحة مفهرسة على الابجديتين العربية والفرنجية . ونحن ساعون الى اصدارها بأكثر من هذه اللغات واتخذنا الاجراءات اللازمة لتنفيذها قريبا وهي كما ترون على نوعين :

1 ـ تقنية : كمعجم البترول والميكانوغرافي

2 ـ علمية : كالكيمياء والفيزياء والجيولوجيا

وبذلك نساهم مجتمعين فى الثورة الثقافية المنشودة . ان ثورتنا معقولة مدروسة منتجة ، ثورة الاصالة والعمل المجدي .

ايها السادة نحن فى معركة لا هوادة فيها تتعرض فيها لغتنا لمحن عنيفة جدا ، تنتاشها من كل جانب ؛ والشعب العربي فى حال توفر يريد منا ان يعمل شيئا ما لحفظ كيانه ، واللغة عامل مهم جدا فى تثبيت هذا الكيان وابراز شخصيته وفى دفع الثورة الثقافية قدما الى الامام . ولا بد من اتخاذ الخطوات الجريئة الحاسمة فى تبسيط قواعد اللغة وتسهيل دراستها وتزويدها بمفاهيم علمية كاملة وتوحيد مصطلحات واعادة النظر أولا وقبل كل شيء بمناهج التعليم وبالكتب والمؤلفات التي توضع بين ايدي التلاميذ والطلاب ومراقبة الدعوات الهدامة كالدعوة الى العامية أو الى الحروف اللاتينية .

ان اللغة كائن حي تعيش وتنمو بالتغذية المستمرة والعمل الجدي الدائب . ونحن فى مكتب تنسيق التعريب الدائم نضع انفسنا وخبراءنا وخبرتنا كلها تحت تصرف العاملين لخدمة لغة القرآن الكريم فى اي دولة عربية . نخدم لغتنا متحدين متآزرين لتخدمنا فى ثورتنا الثقافية وتحررنا العقلي وتثبيت كياننا الفكري .

نعطيها فتعطينا ، وما خاب من اتكل على الله وسعى .